صناعة الحُلي والمجوهرات في روما القديمة
(المواد، التقنيات، الدلالات الاجتماعية والدينية)

Jewelry and Ornament Production in Ancient Rome
(Materials, Techniques, and Social and Religious Significance)

م.م مصطفى كاظم سهل الغزي

Assistant Lecturer Mustafa Kadhim Sahal Al-Ghuzzi

جامعة واسط/ كلية الهندسة/ قسم هندسة العمارة

Wasit of University/ College of Engineering / Department of Architecture Engineering

malgazi@uowasit.edu.iq

الملخص:

تعد صناعة الحلي والمجوهرات في روما القديمة احدى الجوانب الحضارية ذات الأهمية البالغة، إذ تعكس لنا مستوى التطور على مختلف الأصعدة (الفنية والاقتصادية والاجتماعية والدينية)، فلم تكن صناعة الحلي والمجوهرات في روما مجرد نشاط فني أو مظهر من مظاهر الترف فحسب، بل كانت مرآة للتعبير عن الهوية الاجتماعية والدينية، فضلاً عن دورها في إدامة زخم النشاط التجاري والتواصل والاتصال الثقافي بين روما ومختلف حضارات العالم القديم.

Abstract:

The jewelry and adornment industry in ancient Rome is considered one of the highly significant aspects of civilization, as it reflects the level of development on various fronts (artistic, economic, social, and religious). The manufacture of jewelry and adornments in Rome was not merely an artistic activity or a manifestation of luxury; rather, it was a mirror for expressing social and religious identity, in addition to its role in sustaining the momentum of commercial activity and cultural communication and interaction between Rome and the various civilizations of the ancient world.

المقدمة:

يعد هذا الموضوع ذو أهمية بالغة في حقل الدراسات التاريخية والحضارية، ومن الدراسات القليلة نسبياً إذا ما قورنت مع دراسات التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني، فدراسة الحُلي والمجوهرات وأساليب وتقنيات صناعتها لا يعطي مؤشراً على التطور الفني فحسب، بل يكشف عن تطور المجتمعات ومنظومتها الفكرية، إذ شكلت الحلي والمجوهرات المصنوعة جزءاً أساسياً من الهوية الاجتماعية والدينية والاقتصادية للفرد والمجتمع الروماني على السواء، وان مستويات الابداع والدقة والاتقان في مجال صناعتها يعكس مهارة وإبداع الصاغة والحرفيين في روما القديمة.

وبالرغم من أهمية صناعة الحلي والمجوهرات، وأثرها في الحياة الاجتماعية والدينية الاقتصادية الرومانية، إلا اننا نلاحظ قلة أو انعدام الدراسات العربية التخصصية في هذا المجال، مقارنة بحضارات الشرق الأدنى القديم، لذا حرصنا من خلال هذا البحث إلى الرجوع للمصادر الحديثة والمتاحف العالمية كالمتحف البريطاني ومتحف المتروبوليتان وغيرهما، من أجل استقاء المعلومات من مجالاتها التخصصية ووفقاً لأحدث الدراسات العلمية.

وقد هدف البحث إلى دراسة تطور صناعة الحلي الرومانية، وتحديد مصادر المواد الأولية، واستعراض أساليب وتقنيات التصنيع، وتحليل الدلالات الاجتماعية والدينية، معتمداً على المنهجين الوصفي والتحليلي.

قامت فرضية البحث على ان صناعة الحلي والمجوهرات لم تكن مظهراً من مظاهر الترف فحسب، بل وسيلة للتعبير عن الهوية والمكانة الاجتماعية، فضلاً عن دورها وارتباطها بالطقوس الدينية والجنائزية، كما ساهمت في أدامة الزخم التجاري عبر البحر المتوسط والتجارة البعيدة مع الهند والخليج العربي وغيرها من بلدان وحضارات العالم القديم.

Introduction:

This topic is of great importance in the field of historical and civilizational studies, and it is relatively one of the few studies when compared with studies of political, social, economic, and religious history. The study of jewelry and adornments, and the methods and techniques of their manufacture, does not merely provide an indication of artistic development, but also reveals the development of societies and their intellectual systems, as the manufactured jewelry and adornments constituted an essential part of the social, religious, and economic identity of both the individual and Roman society alike. The levels of creativity, precision, and mastery in the field of their manufacture reflect the skill and creativity of goldsmiths and craftsmen in ancient Rome.

Despite the importance of the jewelry and adornment industry and its impact on Roman social, religious, and economic life, we note the scarcity or absence of specialized Arabic studies in this field, compared with the civilizations of the Ancient Near East. Therefore, through this research, we were keen to refer to modern sources and international museums such as the British Museum and the Metropolitan Museum and others, in order to obtain information from their specialized fields and in accordance with the latest scientific studies.

The research aimed to study the development of the Roman jewelry industry, identify the sources of raw materials, review the methods and techniques of manufacture, and analyze the social and religious implications, relying on the descriptive and analytical approaches.

The research hypothesis was based on the fact that the jewelry and adornment industry was not merely a manifestation of luxury, but also a means of expressing identity and social status, in addition to its role and

association with religious and funerary rituals. It also contributed to sustaining commercial momentum across the Mediterranean Sea and long-distance trade with India, the Arabian Gulf, and other countries and civilizations of the ancient world.

الكلمات المفتاحية: (إيطاليا، روما، روماني، حُلي، مجوهرات).

Keywords: (Italy, Rome, Roman, jewelry, ornaments).

المحور الأول

أولاً/ جيولوجيا شبه الجزيرة الإيطالية وتنوعها الليثيولوجي[1]:

تتسم جغرافية شبه الجزيرة الإيطالية بدرجة عالية من التعقيد على مستوى الجيولوجيا والتضاريس، نتيجة اصطدام الصفيحتين الإفريقية الأوراسية معاً، الأمر الذي أدى إلى بروز وتشكل سلاسل جبلية مهماً كالأبينين الممتدة على طول شبه الجزيرة، والألب في الشمال، وان تلك الطبيعة الصخرية منحت إيطاليا عدداً من الصخور المصنفة إلى (19) نوعاً، وفقاً لخصائصها الجيوميكانيكية والصخرية، وتتمثل في: (الصخور الرسوبية، والمتحولة، والماغماتية، فضلاً عن الرواسب الحديثة)، وقد أشارت نتائج دراسات المسح الجيولوجي الحديثة أن اليابسة الإيطالية مغطاة بنسبة كبيرة ومتفاوتة من الصخور (الجدول: 1/ الشكل: 1)، وإن ذلك التنوع الصخري جعل إيطاليا من أهم مصادر الأحجار الزخرفية والأحجار شبه الكريمة المستخدمة في صناعة الحلي[2].

الجدول (1) التوزيع النسبي لأنواع الصخور ضمن اليابسة الإيطالية	
نوع الصخور	النسبة %
الصخور الرسوبية	82.47
الصخور المتحولة	8.84
الصخور المتداخلة	3.58
الصخور البركانية	5.11
المجموع	100
الباحث بالاعتماد على: Bucci, Francesco, and Others, A new digital lithological map of Italy at the 1:100,000 scale for geomechanical modelling, Earth System Science Data (ESSD), 2022, Vol. 14, P 4138.	

الشكل (1) التوزيع النسبي لأنواع الصخور ضمن اليابس الإيطالي

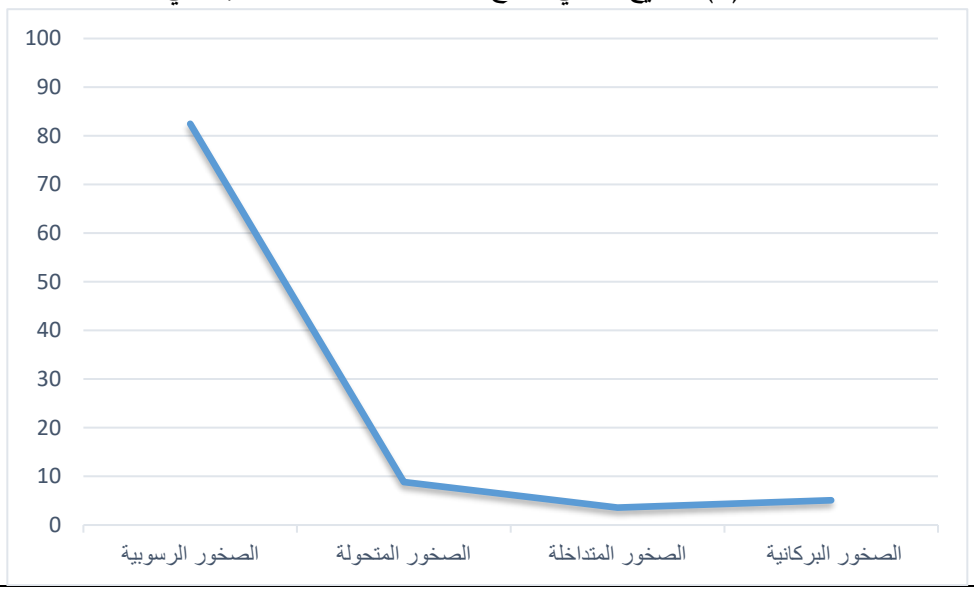

الباحث بالاعتماد على الجدول (1).

يتضح من الجدول (1) والشكل (1) ان اعلى نسبة صخور ضمن اليابس الإيطالي كانت للصخور الرسوبية إذ بلغت (82,47%) في حين أدنى نسبة كانت للصخور المتداخلة فبلغت (3,58%) فيما تراوحت بقية الأنواع والنسب بين القيمتين المذكورتين آنفاً.

تتميز شبه الجزيرة الإيطالية بأنها منطقة نشطة للغاية من الناحية الجيوديناميكية (Geodynamics)[3]، كما تشهد على ذلك الزلازل المتكررة[4]. والبراكين النشطة (كامبي فليغري، فيزوف، سترومبولي، إتنا، فولكانو)، فضلاً عن عدم استقرار اليابسة والسواحل، وفي الواقع ان إيطاليا تقع في وسط البحر المتوسط، وهي خاضعة للتطور الجيولوجي الذي يحكم تلك المنطقة بأكملها، والذي تتحكم به حركة تقارب تدريجية بين صفيحتين كبيرتين (أوراسيا) في الشمال و (أفريقيا) في الجنوب، لذا فإن جيولوجيا إيطاليا وإطارها التكتوني هو نتيجة ذلك الاصطدام، وأبرز مظهر عنه يتمثل في سلسلتي جبال الألب والأبينيني، ويمكن تقسيم الأراضي الإيطالية إلى سبعة أقسام محددة، هي: (سلسلة جبال الألب الرئيسة، جبال الأبينيني، سهول بو، الإقليم الأمامي – Foreland، قوس أبوليا – كالابريا – بيلوريتاني، سردينيا، صقلية)، وإن الجيولوجيا الحالية لإيطاليا وجزرها الرئيسة متنوعة بشكل ملحوظ وتحتوي على طبقات صخرية متتابعة، تعود إلى جميع العصور والحقب[5]. (شكل: 2).

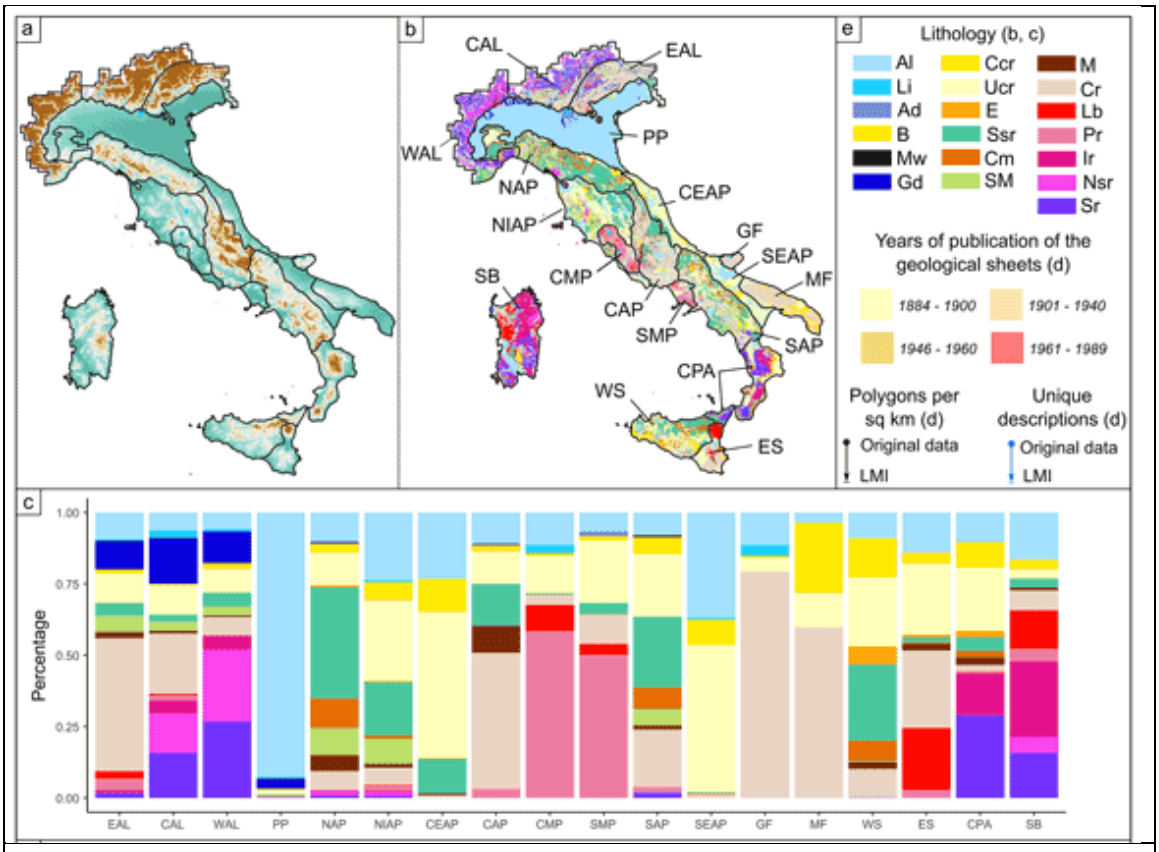

(شكل: 2): خريطة ليثولوجية رقمية جديدة لإيطاليا بمقياس 1:100,000، توضح أقسام وتضاريس إيطاليا وتوزيع الصخور والمعادن، من عمل ISPRA (هيئة المسح الجيولوجي الإيطالي).

Bucci, Francesco, and Others, A new digital lithological map of Italy at the 1:100,000 scale for geomechanical modelling, P 4142.

ثانياً/ مصادر المواد الخام المستخدمة في صناعة الحلي والمجوهرات:

1. المصادر الداخلية:

تتميز الأقاليم الرئيسة (جبال الألب، وسط غرب إيطاليا، سردينيا)، بأنها مناطق غنية بخامات المعادن، فضلاً عن المنطقة المحيطة بالأدرياتيك، ومعظم صقلية، وجزيرة مالطا، التي تتميز برواسبها المعدنية المتنوعة، إذ تشمل الحديد وكبريتيدات النحاس وكبريتيد الرصاص والفضة والزرنيخ، كما تنتشر بشكل واسع رواسب ثانوية ناتجة عن تجوية تلك الخامات الأولية، وتشمل أكاسيد وكربونات النحاس مثل: (الكيوبريت، والأزوريت، الملاكيت)، كما توجد أيضاً معادن أخرى مثل: الستبنيت (كبريتيد الانتيمون) والكستريت (أكسيد القصدير) في سردينيا وتوسكانا، فضلاً عن رواسب مهمة من الزنك والحديد والزئبق[6].

تتسم إيطاليا بتنوع ليثولوجي، وهو نتيجة مباشرة للتطور الجيولوجي المعقد عبر ملايين السنين، ففي جبال الألب تنتشر الصخور المتحولة مثل: (الكوارتز والرخام والكوارتزيت والشيست)، أما في صقلية واتروريا، فتظهر الصخور البازلتية والبركانية والتوف البركاني، وهي صخور تدخل في صناعة الحلي، كما تظهر صخور السربنتينيت (Serpentinite) المتحولة، وهي أساس إنتاج حجر (Verde Antico) الأخضر الذي استخدم في مجوهرات وأعمال فنية فاخرة[7].

تعد اتروريا من أهم وأغنى مراكز المعادن الرئيسة في العالم القديم، وذلك نتيجة امتلاكها الخامات المعدنية الغنية المنتشرة في جميع أنحاء منطقة تيرانيان[8]. إذ تميزت اتروريا بثراء معدني وأحجار فلزية، مما جعلها من بين أهم مراكز التعدين في شبه الجزيرة الإيطالية منذ عصور ما قبل التاريخ، إذ احتوت على ترسبات مختلفة من الحديد والفضة والنحاس والرصاص والانتيمون والزنك والزرنيخ، إلى جانب القصدير الذي وجد بكميات محدودة، وان جبال تولفا ومنطقة مارِما في الجنوب، وجزيرة إلبا في الشمال، أهم الأحواض المعدنية في إتروريا (شكل: 3)، وتشير اللقى الأثرية إلى أن استغلال تلك الموارد قد بدأ مبكراً منذ العصر النحاسي، إذ استخرجت خامات (الأنتيمون والزنجفر) لاستخدامها في صناعة الحلي والأصباغ المعدنية، مما يعكس معرفة مبكرة بعمليات التعدين والصهر في إيطاليا[9].

أما جزيرة سردينيا منذ القدم ومروراً بالفترة الفينيقية ومن ثم الرومانية، فقد شكلت مركزاً مهماً للتعدين، وذلك بفضل امتلاكها لخامات الزنك والرصاص والغالينا الفضية وغيرها[10]. بينما اتسمت جيولوجيا جزيرة صقلية بتنوع ملحوظ في الصخور الجيرية الرسوبية والبركانية، أما جيولوجيا أرخبيل مالطا فيتألف من طبقات رسوبية من الحجر الجيري الصلب والرخو[11].

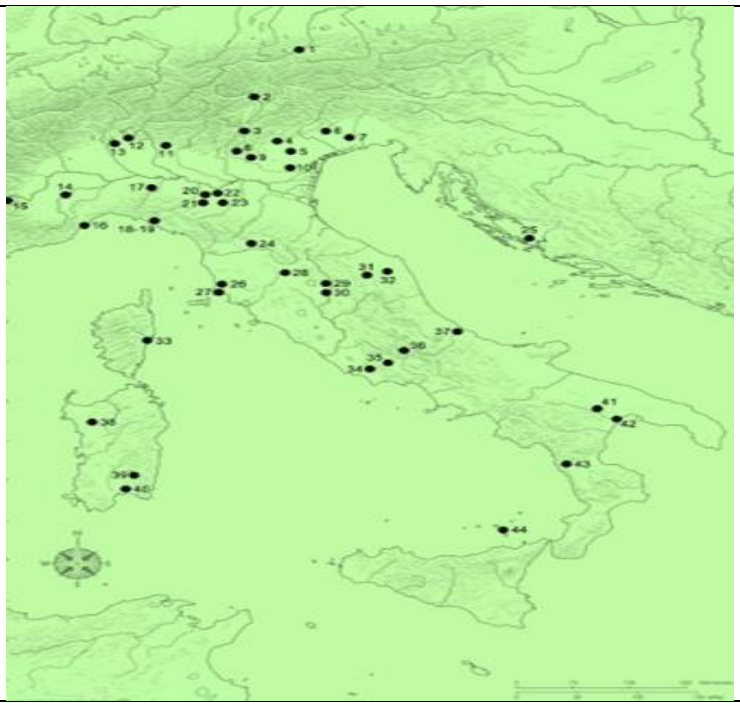

(شكل: 3): خريطة توضح مواقع المعادن في إيطاليا والمناطق المحيطة بها في حوض البحر المتوسط.

Dolfini, Andrea, The Neolithic Beginnings of Metallurgy in the Central Mediterranean Region, P 133.

2. المصادر الخارجية:

مثلت التجارة العمود الفقري لاقتصاد الإمبراطورية الرومانية، إذ اعتمدت على نظام متقن لاستيراد السلع والمواد من المدن والأقاليم المجاورة، إذ كانت طرق النقل البريـة والنهريـة، تتمثل في نـهر التيبـر والطرق الكبرى مثل فيا كاس (Via Cassia) وفيا فلامينيا (Via Flaminia)، التي كانت تؤمن حركة وتدفق المواد الأولية، بينما أدت الموانئ الجنوبية مثل ميناء أوستيا (Ostia) وميناء بوتيولي (Puteoli) دوراً كبيراً في جلب السلع الفاخرة والمواد المتنوعة المستوردة من مختلف الانحاء، وقد قيل قديماً: "على الأرصفة التجارية لميناء اوستيا يمكن للمرء أن يرى وجوهاً غريبة متنوعة ويسمع لهجات متوسطية"، ان ذلك التنوع يمثل التعدد العرقي للإمبراطورية، فلم تكن المواد الأولية وحدها المستوردة فحسب، بل كانت الحلي أيضاً، التي كان يأتي بها التجار السوريون لبيعها على السكان المحليين[12].

وقد كشفت نتائج التنقيبات الأثرية في مواقع ومدافن (فولتيرا وكاير وفولتشي وتاركوينا وبوبولونيا) عن وفرة في الخزين المعدني، فضلاً عن التفوق الذي فرضه الاتروسكان والفيلانوفان على مناطق التعدين وتجارة المواد الخام[13].

أما جزيرة سردينيا بفضل موقعها في قلب (البحر التيراني) وارتباطها بطرق التجارة عبر البحر المتوسط، أصبحت حلقة وصل بين الشرق والغرب، وقد أدى موقع ثاروس الساحلي دور الوسيط عبر الطريق البحري الذي ربط الشرق بمرسيليا وشبه الجزيرة الإيبيرية، وقد انخرطت سردينيا ضمن نظام تجاري واسع لتبادل المواد، مما وفر المعادن الأساسية اللازمة في عمليات إنتاج وصناعة الحلي[14].

يمكن القول ان إيطاليا لم تستورد المعادن بقدر استيرادها للأحجار الكريمة واللؤلؤ (شكل: 4)، وذلك نتيجة لافتقار بيئتها لتلك الثروات. وحتى استيراد الأحجار الكريمة من خارج إيطالياً، لم يكن سائداً في العصور المبكرة والعهد الملكي، ولكن في العهد الجمهوري والإمبراطوري ازدادت الحركة التجارية القائمة على استيراد أنواع مختلفة من الأحجار الكريمة والتي تفتقر إليها البيئة الإيطالية[15]. إذ شهدت الإمبراطورية الرومانية توسعاً كبيراً في استثمار مصادر المعادن عبر مناطق متعددة، أبرزها (إسبانيا والبلقان وشمال الراين وإفريقيا)، إذ اعتمدت تقنيات تعدين متقدمة مثل الإحراق الحراري للصخور، والطواحين المائية، والتقنيات الميكانيكية في سحق المواد الخام واستخراج كميات غير مسبوقة من الذهب والناحس والفضة والرصاص[16].

شهدت تجارة اللؤلؤ رواجاً ملحوظاً في الإمبراطورية الرومانية، بفضل التوسع وبسط السيطرة والنفوذ على جزر وبلدان البحر المتوسط، الأمر الذي وفر الأمن وشجع على استثمار رؤوس الأموال في التجارة البعيدة وخاصة المتجهة نحو المحيط الهندي، وقد أدى ارتفاع مستوى الثراء والترف إلى زيادة الطلب على السلع الفاخرة، وتعزيز مكانة اللؤلؤ في نظر الأثرياء الرومان[17].

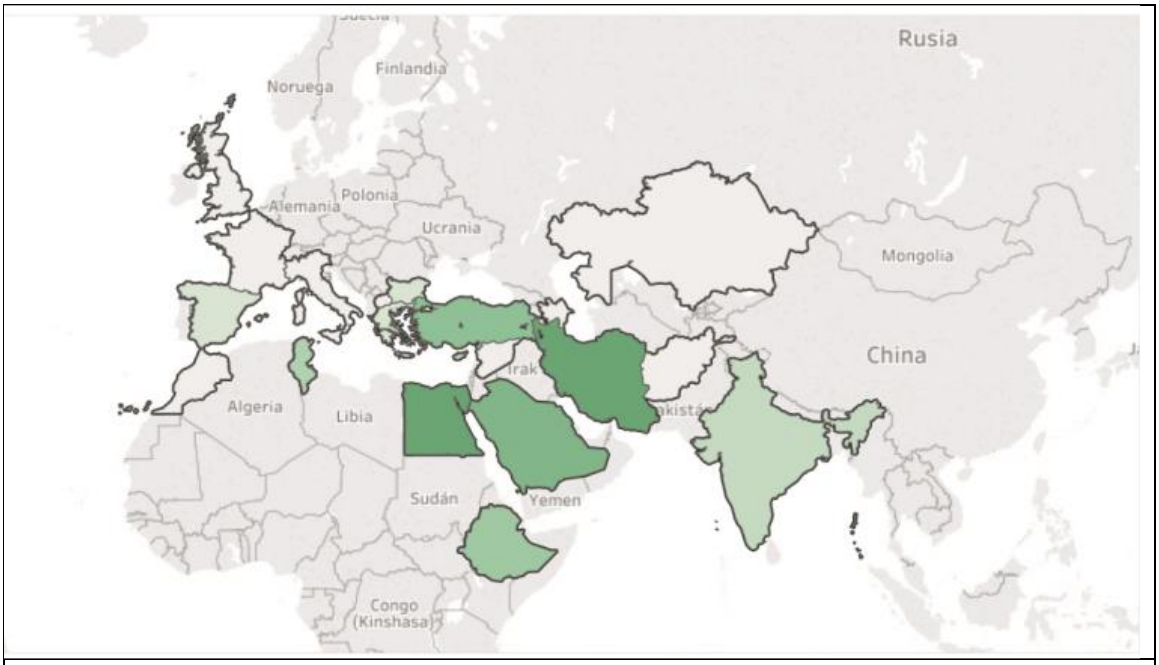

(شكل: 4): خريطة مصادر الأحجار الكريمة كما ذكرها بليني.

González, Jordi Pérez, Gems in Ancient Rome: Pliny's Vision, Scripta Classica Israelica, Vol. 38, 2019, P 145.

أدت روما دوراً كبيراً ومهماً في إدامة الزخم التجاري مع البلدان البعيدة، لاسيما بلدان وحضارات الشرق الأدنى[18]. إذ استوردت الغالبية العظمى من الأحجار الكريمة من الشرق، مثل العقيق الأبيض (chalcedonies)، واليشب الأحمر (red jasper) ، والعقيق الأحمر (cornelian) ، ومن الجدير بالذكر ان النخب الرومانية كانت تفضل الأحجار الكريمة القادمة من المناطق الواقعة شرق الإمبراطورية الرومانية، فضلاً عن بعض الحلي الرومانية المصنوعة من أحجار ذات منشأ أفريقي وأوروبي، مثل العقيق الأخضر الذي يحتوي على الكروم، والقادم من (إسكي شهر) في وسط الأناضول[19].

كما تشير دراسات تجارة الإمبراطورية الرومانية إلى أن النشاط التجاري الخارجي اعتمد بصورة أساسية على التجار الاجانب الذين سيروا التجارة عبر الطرق البرية الشرقية وعبر البحر المتوسط، إذ مثل الأفارقة الزنجيون والمصريون والسوريون (لاسيما التدمريون)، ركيزة أساسية في حركة السلع والمواد الخام (الأحجار الكريمة والعاج والتوابل والمنسوجات)، القادمة من الشرق عبر الموانئ الكبرى مثل الإسكندرية وبرنيكي، ومن ثم إلى روما، ومن الجدير بالذكر ان التجار التدمريين كانوا من أكثر الجماعات الفاعلين في التجارة بعيدة المدى، مع الصين والهند والخليج العربي والصحراء السورية

ومصر وصولاً إلى البحر المتوسط وروما، وقد كانت لهم محطات ومستوطنات تجارية داخل الموانئ الإيطالية مثل (أوستيا وبوتيولي)، عملت كجسور بين التجار الشرقيين والأسواق الرومانية[20].

ثالثاً/ بدايات التعدين المبكر في إيطاليا:

يعود أول استخدام للمعادن في إيطاليا ومناطق البحر المتوسط المحيطة بها، إلى القرون الأخيرة من العصر الحجري الحديث، وأن أولى الثقافات المعدنية في شبه الجزيرة الإيطالية تتمثل في ثقافات: (ريميديلو في الشمال، رينالدوني في الوسط، لاتيرتسا في الجنوب الشرقي، غاودو في الجنوب الغربي)[21].

تُشير الأدلة الأثرية المكتشفة إلى ان بدايات التعدين في اتروريا يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد دلت على ذلك مطارق الحجارة التي استخدمها عمال المناجم، والتي عثر عليها في موقع (بوجو مالينفيرنو) في جبال تولفا شمال لاتسيو[22]. كما أشارت الأدلة المكتشفة بواسطة أعمال المسح والتنقيب الأثري في مواقع مثل (بوكا دي سباكاساسو وجبل أمياتا) في إتروريا ووسط إيطاليا، إلى أن بدايات أعمال التعدين المنظم، تعود إلى العصر النحاسي والعصر البرونزي القديم، ووفقاً لنتائج الكربون 14 (C14) تبين أنها تعود إلى فترات تقع بين (4510–4780 و 4460–4720 ق.م)، إذ جرى خلالها استغلال رواسب المعادن، ولاسيما (الزنجفر والنحاس والأنتيمون)، باستخدام تقنيات تعدين متخصصة، فضلاً عن استخدام مطارق حجرية ومعاول مصنوعة من قرون الأيائل لاستخراج الخامات المعدنية، فضلاً عن دلائل على إنتاج الأصباغ والمعادن المصهورة، ومن الجدير بالذكر ان تلك الاكتشافات تمثل أولى الشواهد المؤكدة على نشاطات تعدين في عصور ما قبل التاريخ، وتحديداً في إيطاليا الوسطى، ويرجح أن تكون معاصرة تقريباً للأعمال التعدينية الموثقة في إيطاليا الشمالية، في ليبيولا (Libiola) ومونتي لوريتو (Monte Loreto)، مما يؤكد أن إتروريا كانت من أوائل المراكز التي ساهمت في تطور وانتشار علم التعدين في الحوض الأوسط للبحر المتوسط[23].

رابعاً/ طرق وأساليب صناعة الحلي:

اتسمت إيطاليا القديمة بتراث غني في مجال صناعة الحلي والمجوهرات، من خلال امتلاك تطور تقني وأساليب زخرفية متنوعة تعكس مكانة الحلي بوصفها مظهراً من مظاهر الترف الاجتماعي ورمزاً دينياً، وقد أتقن الصاغة الإيطاليون استخدام المعادن الثمينة كالذهب والفضة والبرونز وغيرها.

تعود جذور صناعة الحلي والمجوهرات في إيطاليا كما أشرنا إلى عصور ما قبل التاريخ، إذ تشير المكتشفات والأدلة الأثرية إلى استخدام معدن الستبنيت، وصهره لإنتاج الخرز[24]، كما استخدمت لاحقاً العديد من الطرق والأساليب لتنقية المعادن وفصلها، وتعرف عملية تنقية الذهب والفضة باسم التصفية بالنار (Cupellation) ، ومن أجل فصل الذهب والفضة عن المعادن القاعدية المصاحبة لهما، كان يضاف الرصاص إلى الخام، ومن ثم يذاب المزيج كله داخل بوتقة من الطين المسامي وتوضع فوق النار وبمجرد تعريضها لتيار من الهواء، يتأكسد الرصاص والمعادن القاعدية الأخرى، فتتطاير من مسامات البوتقة، بينما يبقى الذهب النقي أو الفضة أو مزيج من كلاهما، ومن الجدير بالذكر هناك طريقتين رئيسيتين ازيلت بهما الفضة، الأولى تعرف بطريقة الملح، إذ يسخن الملح مع بعض المواد العضوية لتعمل كمختزل، أما الطريقة الثانية فهي طريقة الكبريت، إذ تسخن السبيكة مع مركب كبريتي مثل الأنتيمونيت ومع الفحم، فتتحول الفضة إلى كبريتيد الفضة، الذي يطفو على السطح كقشرة، ويمكن إزالته بسهولة، وقد أدخل الرومان طريقتين إضافيتين، هما: الانصهار الجزئي (Liquation) والملغمة _ الاندماج والامتزاج (Amalgamation)، وتستخدم الطريقة الأولى قبيل التصفية، وتقوم على فصل المعادن عبر الانصهار، وأما الطريقة الثانية فيذاب بها مسحوق الذهب في الزئبق، ومن ثم يبخر الزئبق، فتتبقى كتلة صلبة من الذهب[25].

ومنذ العصر البرونزي الأخير وصلت تكنولوجيا المعادن إلى مستويات متقدمة جداً، كما يتضح ذلك من الزخارف المعدنية التي تظهر على القلائد والأشرطة، إذ انتجت اتروريا مصنوعات معدنية متطورة من البرونز والذهب والفضة[26]. فالإتروسكان الذين استوطنوا مناطق شمال ووسط شبه الجزيرة الإيطالية، تميزوا بمهارات استثنائية في صياغة الذهب وتقنيات زخرفته، وان تلك الخبرات قد انتقلت عبر الأجيال واستمر تأثيرها في التقاليد الحرفية الإيطالية لاحقاً، وقد أسهم ذلك الإرث العريق في تكوين شخصية وهوية فنية وصناعية جعلت من الحلي جزءاً مهماً من الثقافة المادية للحضارة الرومانية[27].

ومن الجدير بالذكر ان حرفة صناعة الحلي تجذرت في المجتمع الروماني للحد الذي جعل الصاغة والحدادين يتخذون الإله فولكان (Vulcan)، واسمه باللاتيني (Vulcanus)، بوصه إله راع للنار والحدادة والصياغة[28]. وإن صناعة الحلي كانت بالغة الإتقان وبالغة الروعة، محفورة ومرصعة باللآلئ والعقيق اليماني (onyx) ، والسارد (sard)، والعقيق المقلم (banded agate)، والأماثيست، والياقوت الأحمر، والياقوت الأزرق[29]. فضلاً عن استخدام مئات الأنواع المختلفة من الأحجار الكريمة[30].

يمكن تمييز مستويان من طرق وأساليب صناعة الحلي، الأول يتعلق بالحلي الجنائزي الذي عادةً ما يكون مصنوع بأساليب تقليدية، إذ غالباً ما كانت تشكل من صفائح ذهبية رقيقة مزخرفة نقشياً بأسلوب (التضبيب)، لتلائم الغرض الجنائزي، أما الأسلوب الثاني فيتعلق بصناعة الحلي التي تستخدم لأغراض الحياة اليومية، كاعتماد تقنيات وأساليب التخريم الدقيق (Filigree) أو التحبيب المعدني (Granulation)، لأن تلك التقنيات الزخرفية كانت تتطلب بنية أكثر صلابة لتحمل الاستخدام اليومي[31].

ومن الجدير بالذكر ان الصاغة اتقنوا أساليب وطرق عديدة، منها فنون السبك بالشمع المفقود (Lost Wax Casting)، والنحت (فن النقش)، فضلاً عن الزخرفة المعمولة بنقش مطروق من خلف الصفائح المعدنية ومشطوب من الأمام بالازميل، فضلاً تقنية التحبيب المعدني (Granulation)، ويقصد بها زخرفة سطح معدني أملس بواسطة حبيبات صغيرة ملحمة عليه بدقة عالية، ويمكن إنتاج مثل تلك الحبيبات بسهولة عبر قطع أجزاء دقيقة جداً من سلك ذهبي، ومن ثم صهرها فوق فحم مسحوق باستخدام أنبوب نفخ اللهب (blow–pipe) ولهذا الأسلوب والتقنية تاريخ طويل، إذ يمتد إلى الفترة الميسينية، وقد استخدم المسينيون أسلوب التحبيب الخشن، بينما يظهر استخدام التحبيب الدقيق على يد الأتروسكان[32]. الخبراء بهذا الاسلوب بشكل خاص (شكل: 5)، ويظهر الاتقان الاتروسكي في هذا المجال في لحام آلاف الكرات الصغيرة على أسطح الحُلي الذهبية[33].

(شكل: 5): دبوس ذهبي معمول بتقنية التحبيب الدقيق.

The British Museum, Museum number: 1862,0512.16.

أما أسلوب التطعيم فكان معروفاً أيضاً (شكل: 6)، إذ تمكن الحرفيون من استخدام الحديد لتطعيم القطع البرونزية أحياناً للحصول على تأثيرات ذات جمالية لونية وزخرفية[34]. كما هناك أساليب أخرى من التطعيم، وهو التطعيم الزخرفي، وفيه أساليب منها أسلوب المينا الزجاجية (Enamel)، وكذلك أسلوب زخرفة عجينة الزجاج الملون، والتي غالباً ما تلون بأكاسيد معدنية، ومن ثم توضع على المعدن وهي في حالة انصهار بالنسبة للمينا، أما عجينة الزجاج العادية الملونة فتوضع باردة، لتضفي طابعاً جمالياً[35]. ومن الجدير بالذكر ان المينا كانت تنتج بوفرة في بلاد الغال وكذلك في الأراضي السلتية من أوربا الغربية[36].

(شكل: 6): حُلي ذهبية مطعمة.

Saturnina,Domina Tullia, Making Roman Jewelry, N.d, P 5, 15.

ومن الأساليب المهمة الأخرى التي استخدمت في صناعة وتصميم الحلي والمجوهرات، هو أسلوب التخريم المعدني الدقيق (Filigree)، إذ أنتجوا به مجوهرات ذات قيمة عالية كانت مخصصة للملوك والملكات خلال مختلف الحقب التي مرت بها إيطاليا عبر التاريخ[37]. فضلاً عن أسلوب أو تقنية الأسلاك الدقيقة (الفيلغران/ ة)، (شكل: 7)، الذي صنعت منه الأقراط[38]. فضلاً عن أسلوب صب المعادن وكبسها وطرقها في قوالب مطبوعة، واستخدم ذلك الأسلوب في صناعة الأقراط والتيجان وأشرطة الزينة المعدنية[39] (شكل: 8).

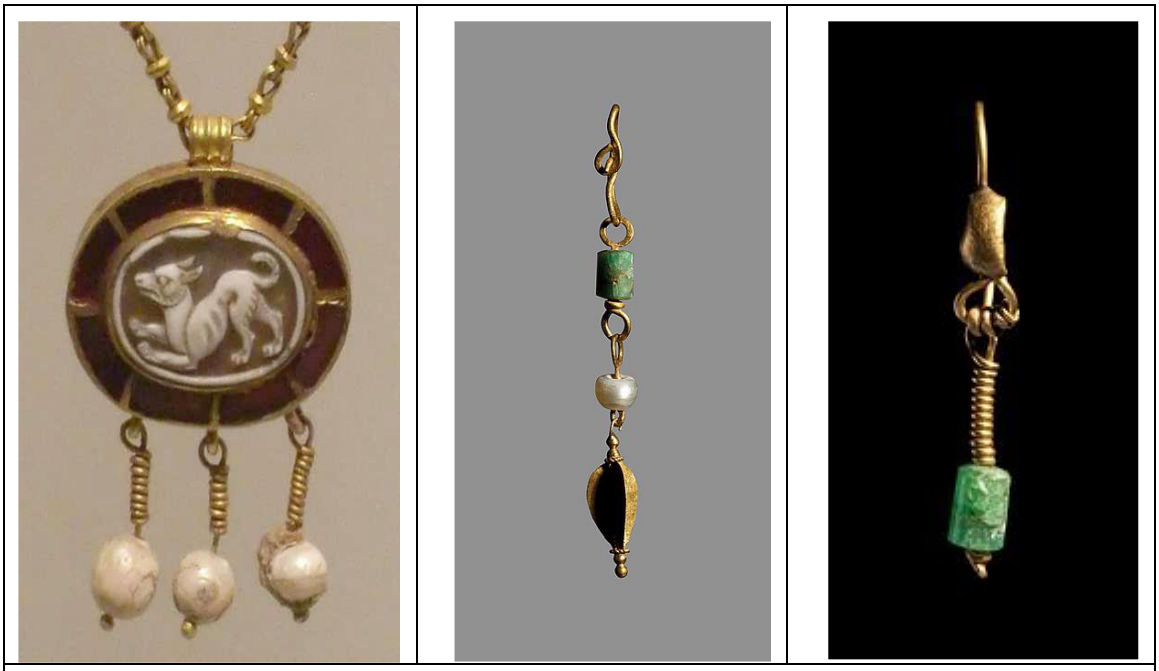

(شكل: 7): أقراط ذهبية مطعمة بالاحجار الكريمة واللؤلؤ، مصنوعة بأسلوب الأسلاك.

Saturnina,Domina Tullia, Making Roman Jewelry, P 9, 19.

(شكل: 8): شريط زينة الرأس مصنوع بإسلوب الطرق.
Nikopoulou, Maria, And Others, Study of Garnets in Hellenistic–Roman Jewellery From the Collections of the Archaeological Museum of Thessaloniki, Greece, P 3.

أثبتت الدراسات الحديثة استمرارية وتطور في المهارات المعدنية عبر فترات زمنية مختلفة، فقد كشفت مواقع ثاروس (شبه جزيرة سينيس) ومونتيفيكيو – إنغورتوزو في الجنوب الغربي من جزيرة سردينيا عن استمرارية وتطور في أساليب وتقنيات التعدين والصهر الحراري عبر قرون، مما يعكس انتقال المعرفة المعدنية من المستوطنين الفينيقيين إلى المجتمعات المحلية، وان تلك الخبرة التقنية بدورها أسهمت في تحسين انماط صناعة وإنتاج الحلي والمجوهرات، وقد تميزت في ذلك ورش الساحل التيراني وإتروريا[40].

ومن الجدير بالذكر ان مستوى الإتقان الذي حققه السردينيون، لم يكن معروفاً لدى السكان المحليين، وتبين أن المستوى التقني الذي بلغته جزيرة سردينيا، هو نتيجة لاختلاط وتبادل معرفي بين الثقافات الفينيقية والرومانية ومستعمرات البحر المتوسط، فكان التحول من مجرد مواقع تعدين بسيطة إلى مراكز إنتاج وصناعة حقيقية[41].

المحور الثاني

أولاً/ نماذج من الحلي الرومانية:

لم تكن روما مدينة صناعية أو تجارية بالدرجة الأساس، ومع ذلك فإن مدينة يبلغ عدد سكانها مليوناً ونصف المليون لا يمكن أن تعيش من دون وجود نشاط صناعي محلي[42]. لاسيما ان المجتمع الروماني كان يعج بمظاهر الترف والبذخ التي تتطلب الملابس الجيدة والخواتم الثمينة ذات الأهمية البالغة (شكل: 9)، حتى إنه في حال عدم امتلاكها كان لا بد من استئجارها لحضور المناسبات الاجتماعية المهمة، وليظهر الضيوف بثياب احتفالية فاخرة وحلي جذابة[43]. وقد بلغ الولع بالحلي والخواتم لدى المجتمع الروماني حداً لافتاً، حتى أصبح ارتداء عدد كبير منها (يصل أحياناً إلى نصف دستة في اليد الواحدة) سمة مألوفة بين المتأنقين من الرجال والنساء على حد سواء، كما امتلك الرومان مجموعات موسمية من الخواتم، خفيفة للصيف وأخرى ثقيلة للشتاء، مما يعكس تطور الذوق الرفيع وارتباط الحلي بالترف والهوية الاجتماعية ضمن الثقافة الرومانية[44].

(شكل: 9): تصوير فني للإمبراطور جستنيان وامرأة رومانية، ويظهر كم الحُلي التي يرتدونها.
Sebesta, Judith, Bonfante, Larissa, The World of Roman Costume, P 85.

إن نماذج الحلي والمجوهرات تمثل منظومة من الابتكار التقني والدلالات والرمزية الاجتماعية والثقافية، إذ صنعوا العديد منها كالدبابيس والقلائد والتمائم والاقراط والخواتم والأساور وأشرطة الرأس وحلي الشعر والملابس، ويمكن ان نلقي عليها نظرة عامة وفق الأنماط التالية:

1.الدبابيس (Fibulae):

كانت الطريقة الشائعة لربط الملابس لدى النساء والرجال في الأزمنة المبكرة[45]. لاسيما في كل من اليونان وإيطاليا، تتم باستخدام دبابيس الزينة، إذ كانت الملابس آنذاك ليست مصممة مثل ملابسنا اليوم، بل كانت تتكون من قطع مستطيلة من القماش تلف حول الجسم وتثبت عند الكتف، ولذلك كانت الدبابيس القوية هي الأنسب للمحافظة على ثبات الثوب في مكانه، وتظهر الدبابيس المستخدمة في العصور الإيطالية المكانة الجمالية التي كانت تحتلها تلك القطع كأدوات حلي وزينة، تعكس أناقة وذوق فني، وتعبر عن المكانة الاجتماعية، فلم تكن مجرد أداة وظيفتها تثبيت الثياب فحسب (شكل: 10)، إذ كانت تصنع من الذهب والفضة والمعادن النفيسة الأخرى، وتزين بعناية بالغة بأحجار العنبر والأحجار الكريمة الأخرى[46].

دلت المكتشفات الأثرية على ان الدبابيس كانت من أكثر اللقى الأثرية انتشاراً في المدافن والمعاثر الأثرية الأخرى في إيطاليا القديمة، وقد ظهر منها أشكال متنوعة مثل الدبابيس القاربية (على شكل قارب)، والدبابيس القوسية، والدبابيس القوسية المركبة (شكل: 11)، والدبوس المتعرج، والدبابيس الثعبانية، والدبابيس ذات رأس القرص، فضلاً عن الدبابيس الاتروسكانية المزخرفة بحبيبات الذهب (تقنية التحبيب)، والتي تعد من أرقى ما أبدعه صاغة العصر الحديدي في أوروبا[47].

(شكل: 10): دبوس ذهبي، يُعد جزءاً من الزي الرسمي الجيش الروماني. The Metropolitan Museum of Art, Museum number :95.15.113.	(شكل: 11): مشبك ذهبي ذو أشكال حيوانية، حوالي 525 – 500 ق.م The British Museum, Museum number: 1867,0508.527.

2.القلائد والتمائم (Necklaces and Amulets):

احتلت القلائد مكانة مهمة في الثقافة المادية للإمبراطورية الرومانية، وقد تنوعت موادها بين خرز العقيق والزجاج الملون والمرمر والذهب، وتظهر القلائد الاتروسكية تطوراً واضحاً في أساليب وتقنيات صناعة السلاسل الذهبية المعقدة، أما القلائد الرومانية كانت غالباً أغنى من حيث الأحجار الكريمة، إذ مثلت القلائد المزينة بالزمرد والياقوت واللؤلؤ مؤشرات على مظاهر الترف والمكانة الاجتماعية والدلالات الدينية(شكل: 12).

(شكل: 12): قلائد ذهبية ومطعمة بالأحجار الكريمة
The British Museum, Museum number: 1907,1201.142 – 1772,0314.60 – 1980,0201.97.

أما التمائم فكان لها حضوراً كبيراً، إذ لعبت الخرافات دوراً كبيراً في اختيار الرومان لقطع الحلي، فقد استخدم كل من الأطفال والبالغين الرموز وبعض الصور لدرء الحسد والعين الشريرة (شكل: 13)، فكان الأولاد الأحرار يرتدون البولا (bulla)، وهي كيس صغير مصنوع من الجلد أو البرونز أو الذهب، تبعاً للمكانة الاجتماعية للشخص(شكل: 14)، وتحتوي البولا بداخلها على تعاويذ حامية تمثل تميمة فألية مصنوعة غالباً من (الجمشت، الكهرمان، البرونز، الذهب، الفضة، الأحجار الكريمة، المرجان، الزجاج الأخضر، الرخام، الحديد، العاج، العظام، الخشب)[48].

(شكل: 13): تمائم مصنوعة من مواد مختلفة (ذهب، أحجار كريمة، حديد).
Saturnina,Domina Tullia, Making Roman Jewelry, P 10.

(شكل: 14): صورة توضيحية للبولا الرومانية المصنوعة من الجلد.
Saturnina,Domina Tullia, Making Roman Jewelry, P 11.

3.الأقراط (Earrings):

أما الأقراط فقد كانت على أشكال مختلفة، إذ ظهرت أقراط مزودة بكرات ذهبية أو كرات لؤلؤ دقيقة (شكل: 15)، وأخرى تتدلى منها زخارف نباتية وحيوانية ومحببة (شكل: 16)، فضلاً عن الأقراط ذات الحلقات المتعددة أو المزينة بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة(شكل: 17).

(شكل: 15): زوج من الأقراط المعلقة ذات لؤلؤتين مزدوجتين.

Ward, Courtney A., Rethinking the Spectrum of Luxury Roman jewellery from the Bay of Naples, Acta ad archaeologiam et artium historiam pertinentia, Volume XXXIII (N.S. 19), 2023, P 320.

(شكل: 16): قرط ذهبي معمول بإسلوب التحبيب.

Museo Gregoriano Etrusco, Museum number: 20562 – 20563.

(شكل: 17): قرط ذهبي مطعم بحجر كريم.

The British Museum, Museum number: 1846,0629.14.

4.الخواتم (Rings):

تميزت النتاجات الرومانية القديمة في مجال صناعة الحلي والمجوهرات بالعديد من أنواع الخواتم، وقد اتخذت وظائف متعددة لتحقيق الهوية القانونية والاجتماعية، إذ ظهرت خواتم الزينة وخواتم الأختام (signet rings) التي تحفر عليها صور أو نقوش تستخدم في ختم الوثائق الرسمية والتعاملات

الشخصية (شكل: 18)، وفي العصر الإمبراطوري ومع تزايد الثروات وتراكمها بيد فئات دون أخرى من المجتمع، أصبح ارتداء عدد من خواتم في اليد الواحدة علامة على الوجاهة، وقد تنوعت احجار الخواتم وزخرفت بأشكال مختلفة (شكل: 19)، ومن تلك الأحجار العقيق والكرستال الصخري والامثيست واليشب والكوارتز[49]. والألماس (Diamond)، الذي يعد نادراً في الحلي والمجوهرات الرومانية[50].

(شكل: 18): خاتم ذهبي منقوش على سطحه مشهد فني، يمثل ختم شخصي.

Nikopoulou, Maria, And Others, Study of Garnets in Hellenistic–Roman…, P 4.

(شكل: 19): خواتم ذهبية ذات اشكال حيوانية وأخرى عليها صور آدمية، مصنوعة بأساليب تقنية مختلفة

The British Museum, Museum number: 1872,0604.71 – 1917,0501.176 – 1917,0501.937.

5.الأساور (Bracelets):

كانت الأساور الذهبية على أشكال مختلفة منها الحلزوني (شكل: 20)، كما ظهرت العضادات التي تُلبس على الجزء العلوي من الذراع، وكانت شائعة لدى النساء في إيطاليا (شكل: 21)، فضلاً عن أنواع أخرى من الأساور المنقوشة بزخارف هندسية أو آدمية أو رؤوس حيوانات (شكل: 22).

(شكل: 20): سوار ذهبي اتروسكي حلزوني.
The British Museum, Museum number: 1846,0629.23.

(شكل: 21): عضادة ذهبية اتروسكي، مصنوعة بأساليب عديدة (الطرق، النقش، الاسلاك الدقيقة).
Museo Gregoriano Etrusco, Museum number: 2056-20563.

(شكل: 22): ثلاثة أساور ذهبية ذات أشكال وتقنيات مختلفة.
Ward, Courtney A., Rethinking the Spectrum of Luxury Roman jewellery from the Bay of Naples, P 318, 319, 320.

6. أشرطة الشعر أو التيجان والأحزمة (Hair ribbons or diadems and belts):

اشتهرت إتروريا بإنتاج أشرطة أو تيجان ذهبية رقيقة مصنوعة بأسلوب طرق الصفائح وحفرها وتزينها بزخارف نباتية تمثل أوراق الكروم أو البلوط (شكل: 23). مع إضافة بعض الأشكال الحيوانية ذات الدلالات الرمزية (شكل: 24). وفي بعض الحالات كانت تلك الأشرطة تستعمل لتغطية فم المتوفى[51]. كما وجدت أحزمة مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة، تلف على الخصر لتثبيت الملابس (شكل: 25).

(شكل: 23): اكليل ذهبي على شكل أوراق البلوط، يرتدى على الرأس من قبل أفراد الطبقات الرومانية المرموقة.

The Metropolitan Museum of Art, in Gallery 166.

(شكل: 24): اكليل ذهبي مكوّن من أوراق البلوط مع نحلة وحشرتي جُنْدُب.

The British Museum, Museum number: 1908,0414.1.

(شكل: 25): حزام ذهبي مطعم بالأحجار الكريمة، يمثل جزء من زينة الملابس.
Nikopoulou, Maria, And Others, Study of Garnets in Hellenistic–Roman…, P 4.

ثانياً/ الحلي والمجوهرات بوصفها رمزاً اجتماعياً ودينياً:

في يومنا هذا تستخدم الحلي والمجوهرات للجمالية واضفاء نوع من المكانة الاجتماعية على من يرتديها ولاسيما النساء التي غالباً ما ترتبط بها الحلي والمجوهرات في حياتنا، أما الثمين منها والذي يعود إلى الملكية العامة فيعرض داخل خزانات خاصة في المتاحف. على اعتبار أن الحلي والمجوهرات القديمة تعد من أبرز المقتنيات الأثرية من حيث جمالها البصري ودقة صناعتها، إلا أن دراستها علمياً تفرض تحديات حقيقية أمام الباحثين، فلم يسلط الضوء على ذلك النوع من اللقى في كثير من الدراسات التاريخية والأثرية لصعوبة إخضاعه للمناهج التقليدية المعتادة، وان الحلي بوصفها شكلاً من أشكال الثروة المحمولة، كانت تنتقل بين الأفراد والعائلات، وتورث عبر الأجيال، وقد تنقل لمسافات بعيدة أو تخفى في أوقات الخطر، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الكثير من تفاصيل منشئها الأول ومالكها الحقيقي، وعلى الرغم من أن العديد من القطع تكتشف غالباً في سياقات المدافن، إلا أن وجودها داخل القبور لا يعني بالضرورة أنها صنعت لأجل ذلك الغرض، بل قد تكون قد استخدمت سابقاً في الحياة اليومية قبل أن توظف لاحقاً في الطقوس الجنائزية[52].

1. الحلي والمجوهرات ودلالاتها الاجتماعية:

كان الاعتقاد السائد بأن الأحجار الكريمة والمجوهرات شكلت امتيازاً يقتصر على الملوك والنبلاء في العالم القديم[53]. والطبقة الثرية في المجتمع، إلا ان ذلك لا ينطبق على المجتمع الروماني، إذ لا يوجد ما يمنع عامة شرائح المجتمع وحتى العبيد من ارتداء بعض الحلي الخاصة والبسيطة، وان اختلفت في قيمتها وجودتها ومواد صناعتها[54]. إذ كانت مراسيم الخطوبة والزواج لدى المجتمع الروماني مصحوبة بتقديم الزوج لزوجته عدداً من القطع النفيسة الخاصة بالحلي والزينة، وعلى وجه الخصوص خاتماً يلبس في الإصبع الثالث من اليد اليسرى، لأن الجميع كانوا يقولون: "ان عصباً يمتد مباشرةً من هذا الإصبع إلى القلب"[55].

ان معظم الدراسات الخاصة بالحلي والمجوهرات الرومانية تركز على القطع المصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة النفيسة، وأفضل مثال على ذلك هو اللؤلؤ، الذي استخدم في تزيين الأقراط الرومانية، والذي يذكر بليني الأكبر تحديداً أنه أثمن ما يجود به البحر[56]. ووفق ذلك الأساس أن المجوهرات الرومانية تصنف عادة بوصفها فئة واحدة مع التركيز على بعض القطع المصنوعة من الذهب وغيرها من المواد النفيسة، لذا فإن الفهم الأكثر دقة لذلك التراث المادي ودوره في المجتمع والثقافة الرومانية لا يتحقق إلا عندما ننظر إلى الفروق بين القطع الفردية، ولا شك أن هناك تشابهاً في طرز المجوهرات التي كانت تقتنى من قبل نساء اللواتي ينتمين إلى طبقات اجتماعية واقتصادية

مختلفة، من أجل إظهار جوانب متشابهة من هوياتهن[57]. إذ لا تقتصر صناعة الحلي والمجوهرات في الحضارات القديمة على الجانب الجمالي أو الزخرفي فحسب، بل تُعد عنصراً فاعلاً في بناء الهوية الثقافية والانتماء الاجتماعي، فكما تعبر المجوهرات اليوم عن المكانة الاقتصادية والذوق الشخصي والانتماء الاجتماعي أو الديني، فإنها في العصور القديمة كانت تؤدي ذات الوظائف، وتستخدم لتمييز الأفراد داخل المجتمع وإبراز موقعهم الاجتماعي أو دورهم الطقسي، وتشير الأدلة الأثرية إلى أن الكثير من قطع الزينة كانت محملة بدلالات رمزية، سواء من خلال المواد الخام المختارة أو من خلال الرموز المنقوشة عليها، ويظهر ذلك بوضوح في المدافن، إذ تكشف الحلي المرافقة للمتوفى عن طبيعة علاقته بالمجتمع، وعن الأدوار أو الصفات التي كان يحملها خلال حياته، مما يجعل دراسة الحلي أداة مهمة لفهم الهوية والاعتقادات والأنساق الاجتماعية في الحضارات القديمة[58].

كانت الحلي الرومانية أكثر من مجرد عناصر للزينة فحسب، بل جسدت لغة (رمزية – بصرية) عبرت عن منظومة القيم الاجتماعية والثقافية والدينية في مجتمع أدرك أن الحلي والزينة هي أيضاً وسيلة لإظهار الهوية والانتماء ومدى السلطة (شكل: 26)، إذ شكلت رمزاً متعدد الدلالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية في آن واحد، فعلى الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، أدت الحلي وظيفة تتجاوز الزخرفة الجمالية، لتصل إلى حد التعبير عن الهوية الفردية والمكانة الطبقية والمرحلة العمرية لصاحبها، فكانت وسيلة اجتماعية تستخدم لتمييز الانتماء العائلي والمرتبة الاجتماعية، فكانت النساء ترتدي أنواعاً معينة للدلالة على الأمومة أو المكانة الزوجية، وان المواد النفيسة كالذهب والفضة والكهرمان لم تكن مجرد علامات ثراء فحسب، بل أدوات ترميز اجتماعي تعبر عن المكانة والقوة والنفوذ داخل البنية الاجتماعية، فكان ذوي الميت يحتفظون ببعض الأشياء التي ارتداها في حياته كونها تحمل قيمة إرثية وهوية اجتماعية، تربط بين الأجيال المتعاقبة عبر النسب والاستمرارية العائلية[59].

(شكل: 26): حُلي رومانية.

The British Museum, Museum number: 1908,0414.1.

كانت بعض الحلي أداة للتعبير عن جوانب متعددة من هوية الفرد، مثل الأصل، والمكانة الاجتماعية، والجنس، والعمر، فعلى سبيل المثال الدبابيس القرصية الشكل التي يستخدمها الرجال تختلف عن الدبابيس التي تستخدمها النساء (شكل: 27)، وتدل المنحوتات على استخدام دبابيس مختلفة حسب المناسبة، فهناك ما يرتدى يومياً، مقابل ما يستخدم في المناسبات الرسمية فقط[60].

(شكل: 27): نموذج للدبابيس الرجالية قرصية الشكل.
Hoss, Stefanie, Of Brooches and Men, P 42–43.

كان كل فرد روماني من طبقة الفرسان أو من أعضاء مجلس الشيوخ يرتدي بفخر خاتماً واحداً من الذهب الخالص (على غرار خاتم الزواج في العصور اللاحقة)، علامة على نبله، وتذكيراً بعصر كان الخاتم الذهبي فيه رمزاً للثروة الحقيقية، كما كان كل شخص ذي مكانة يرتدي خاتماً خاصاً بالختم الشخصي (signet ring)، وغالباً ما يكون محفوراً بنقش غائر بصورة معكوسة يمثل شخصية أسطورية، وكان ذلك الختم يعد بمثابة التوقيع الشخصي (شكل: 28)، وكان الاستخدام غير الشرعي لهذا الخاتم يعد من أخطر أشكال التزوير على الإطلاق[61].

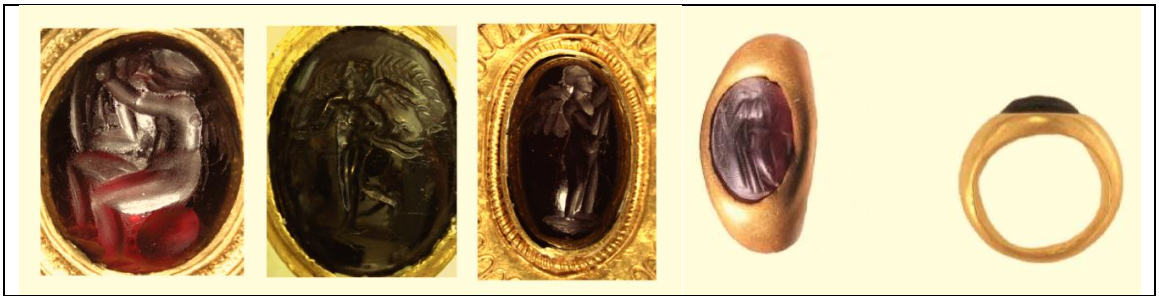

(شكل: 28): خواتم ذهبية خاصة بالختم الشخصي.
Nikopoulou, Maria, And Others, Study of Garnets in Hellenistic–Roman…, P 4, 7.

من الجدير بالذكر ان هناك تياران متضادان في المجتمع الروماني، الأول يميل نحو البساطة، ويروي المؤلفون القدماء قصة فيها من الحكمة، إذ طلب من سيدة رومانية اسمها (كورنيليا) والدة تيبيريوس وغايوس غراكوس، أن تظهر مجوهراتها، فقدمت ابنيها قائلة: "هؤلاء هم جواهري"، ويقابل ذلك التيار، الميل نحو المغالاة في استخدام الزينة لدى بعض الأفراد والحكام[62].

كما تعد الحلي والمجوهرات رمزاً للبذخ والتفاخر في المجتمع الروماني، وهي تعكس ثقافة رومانية تقوم على التظاهر بالثروة والأبهة أكثر من اعتمادها على القيم الحقيقية أو الاستقرار الاقتصادي، أي انه شكل من أشكال الثراء المصطنع، فكان المجتمع يردد القول: "إذا كان عليك أن تلتزم قضية كمحام ولكنك فقير، فعليك رغم ذلك أن تستأجر توغاً (Toga) فاخرة (اللباس الرسمي الأشهر للرومان) وخاتمين جميلين لترتديهما في الصباح، وإلا فإن القضاة سيظنونك لا قيمة لك، ويحكمون ضدك على الفور"، وهنا يتضح ان الترف والبذخ في المجتمع الروماني كان مصطنعاً في بعض الأحيان، إذ كان على الفرد أن يبدو غنياً، حتى وإن لم يكن كذلك، إذ كان المظهر المترف

وسيلة لإثبات المكانة الاجتماعية وكسب احترام الآخرين[63]. وقد اضطر معلمو البلاغة مثل (كوينتيليان)، إلى التنبيه ضد المبالغة في ارتداء الحلي لما قد تحدثه من تشويش على الهيبة الخطابية، وهذا يكشف حجم انتشار تلك الظاهرة[64].

2. الحلي والمجوهرات ودلالاتها الدينية:

أما من الناحية الدينية والطقسية، فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات والممارسات الدينية، إذ كانت تستخدم أحياناً كعناصر رمزية في الطقوس السحرية كالتمائم مثلاً، أو تستخدم لأغراض جنائزية (شكل: 29)، وتمثل وسيلة لتأكيد الهوية الروحية للموتى أو المشاركين في الشعائر، فهي لا تمثل زياً يومياً ولا لباساً خاصاً بالمناسبات، بل قطعاً مختارة وموضوعة بعناية من قبل من أعدوا جسد الميت، وغالباً من النساء اللواتي اعتقدن أن لذلك الترتيب دلالة شخصية أو طقسية، ومن الجدير بالذكر ان الحلي الجنائزية لم تكن فاخرة، بل غالباً ما كانت رقيقة وهشة على عكس الحلي المصنوعة لاستخدام شؤون الحياة اليومية، إذ كانت الحلي الجنائزية تستخدم للتواصل الرمزي مع الأسلاف وآلهة العالم الأسفل بدلاً من الأحياء، كما كانت طريقة اختيار الحلي تخضع لتغيرات مرتبطة بمراحل الحياة والوظائف الدينية والمشاركة الطقسية للشخص.[65]

(شكل: 29): حلي جنائزية
Castor, Alexis Q, Etruscan Jewelry and Identity, P283.

الاستنتاجات

1. رغم التنوع الليثولوجي الذي تميزت به شبه الجزيرة الإيطالية، إلا أنها عانت من نقص بعض المواد الأولية اللازمة لصناعة الحلي والمجوهرات، مما دفع الإمبراطورية الرومانية إلى سد ذلك النقص عن طريق سبيلين، الأول يتمثل في الاندفاع نحو التجارة الخارجية مع الصين والهند والخليج العربي وسوريا ومصر وأفريقيا والاناضول وغيرها من البلدان، أما السبيل الثاني فكان سياسة التوسع والحروب التي منحتهم أراضي واسعة تمتلك ثروات طبيعية كبيرة، مثل اسبانيا والبلقان وشمال الراين وإفريقيا.
2. أن أولى دلائل استخدام المعادن في شبه الجزيرة الإيطالية يعود إلى القرون الأخيرة من العصر الحجري الحديث، وأن أولى الثقافات المعدنية في شبه الجزيرة الإيطالية تتمثل في ثقافات: (ريميديلو في الشمال، رينالدوني في الوسط، لاتيرتسا في الجنوب الشرقي، غاودو في الجنوب الغربي).
3. يمكن تمييز مستويان من طرق وأساليب صناعة الحلي، الأول يتعلق بالحلي الجنائزي الذي عادةً ما يكون مصنوع بأساليب تقليدية، إذ غالباً ما كانت تشكل من صفائح ذهبية رقيقة مزخرفة نقشياً (بالتضبيب)، لتلائم الغرض الجنائزي، أما الأسلوب الثاني فيتعلق بصناعة الحلي التي تستخدم لأغراض الحياة اليومية.
4. ان معارف الصاغة الرومان في هذا المجال لم تتطور بمعزل عن محيطها، بل اعتمدت على الثقافات الإغريقية والشرقية، فاقتبست منها تقنيات متقدمة مثل التحبيب والتفريغ والسباكة الدقيقة، إلا ان الحرفيون والصاغة الإيطاليون طوروها بما يتناسب مع قدراتهم وذوقهم المحلي، فحققوا شهرة عالمية.
5. استخدم الصاغة الرومان أساليب عديدة ومميزة في صناعة الحلي أبرزها التخريم الدقيق والتحبيب الخشن والناعم والنقش والتطعيم وفن السبك بالشمع المفقود، وقد أثبتت الدراسات الحديثة استمرارية وتطور في أساليب ومهارات صناعة الحلي والمجوهرات عبر الفترات الزمنية المختلفة للإمبراطورية الرومانية.
6. شكلت صناعة الحلي والمجوهرات جزءاً أساسياً من البنية الاجتماعية والهوية الثقافية لدى الرومان.

انطبقت فرضية البحث من حيث أن الحلي أدت وظيفة مزدوجة، فهي لم تكن مجرد مظهر من مظاهر الترف والزينة فحسب، بل وسيلة للتعبير عن الهوية والمكانة الاجتماعية، فضلاً عن دورها وارتباطها بالطقوس الدينية والجنائزية، كما ساهمت في أدامة الزخم التجاري عبر البحر المتوسط والتجارة البعيدة مع الهند والخليج العربي وغيرها من بلدان وحضارات العالم القديم.

الهوامش:

[1] الليثولوجيا: علم دراسة الخصائص الطبيعية والوصفية للصخور.

[2] Bucci, Francesco, and Others, A new digital lithological map of Italy at the 1:100,000 scale for geomechanical modelling, P 4130 – 4147.

[3] الجيوديناميكية: علم دراسة القوى والعمليات التي تؤثر في حركة الصخور الرسوبية وتشكلها، والنشاط البركاني والتغيرات الجيولوجية.

[4] Allaby, Michael, A Dictionary of Geology and Earth Sciences, Fourth Edition, Oxford University Press, 2013, P 242.

[5] Rovida, Andrea, and Others, The Italian Archive of Historical Earthquake Data, ASMI, Earth System Science Data (ESSD), 2025, Vol. 17, P 3110.

[6] Lucarini, Mauro, Fumanti, Fiorenzo, EuroLithos Atlas – Ornamental Stone Resources in Italy, Geological Survey of Italy, 2021, P 2.

Dolfini, Andrea, The Neolithic Beginnings of Metallurgy in the Central Mediterranean 2014, P 132./ Region, Accordia Research Papers, Vol. 13, 2013

[7] Bucci, Francesco, and Others, A new digital lithological map of Italy at the 1:100,000 scale for geomechanical modelling, P 4140 – 4142.

[8] Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, In The Etruscan World, Routledge, 2011, P 721.

[9] Giardino, Claudio, and Steiniger, Daniel, Evidenze di miniere preistoriche nell'Etruria meridionale, Archeometallurgia: dalla conoscenza alla fruizione. Atti del Workshop, 22–25 maggio 2006, Cavallino, Consiglio Nazionale delle Ricerche, Bari, 2011, P 289-290.

[10] De Caro, Tilde, The ancient metallurgy in Sardinia (Italy) through a study of pyrometallurgical materials found in the archaeological sites of Tharros and Montevecchio (West Coast of Sardinia), Journal of Cultural Heritage, 2017, P 2.

[11] Bonanno, Anthony, Insularity and Isolation: Malta and Sicily in Prehistory, Islands and Interaction: Proceedings of the Fifth International Conference on the Archaeology of the Ancient Mediterranean (ICANM 5), University of Malta, N.d, P 27.

[12] Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, Allyn and Bacon, 1925, P 244, 253.

[13] Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, P 721.

[14] De Caro, Tilde, The ancient metallurgy in Sardinia (Italy) through a study of pyrometallurgical materials found in the archaeological sites of Tharros and Montevecchio (West Coast of Sardinia), P 2.

[15] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, Printed by Order of the Trustees of the British Museum, 1901, P lviii.

[16] Wilson, Andrew, The Metal Supply of the Roman Empire, In Supplying Rome and the Empire: Proceedings of an International Seminar held at Siena–Certosa di Pontignano on May 2–4, 2004 on Rome, the Provinces, Production and Distribution, Oxford University Press, 2007, P 123.

[17] Schörle, Katia, Pearls, Power, and Profit: Mercantile Networks and Economic Considerations of the Pearl Trade in the Roman Empire, Across the Ocean: Nine Essays on Indo-Mediterranean Tradem, Koninklijke Brill NV, 2015, P 43.

[18] Lee, Hyun Ji, Transformative Trade: The Impacts of Trade on the Periphery of the Roman Empire, Master's Thesis, Department of History and Archaeology, Macquarie University, 2022, P 69.

[19] González, Jordi Pérez, Gems in Ancient Rome: Pliny's Vision, P 147.

[20] Terpstra, Taco T., Trade in the Roman Empire: A Study of the Institutional Framework, Ph.D. Dissertation, Columbia University, Graduate School of Arts and Sciences, 2011.

[21] Dolfini, Andrea, The Neolithic Beginnings of Metallurgy in the Central Mediterranean Region, P 131.

[22] Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, P 725.

[23] Giardino, Claudio, and Steiniger, Daniel, Evidenze di miniere preistoriche nell'Etruria meridionale, P 290-292.

[24] Dolfini, Andrea, The Neolithic Beginnings of Metallurgy in the Central Mediterranean Region, P 132.

[25] Higgins, R. A., Greek and Roman Jewellery, Abingdon and New York, Vol. 18, 2025, P 4.

[26] Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, P 721.

[27] Picchiotti, Italian Jewelry A Heritage of Gold Craftsmanship in Valenza, Italian Jewelry, Vol. 7, 2022, P1.

[28] Rose, H. J., The Cult of Volkanus at Rome, The Journal of Roman Studies, Vol. 23, No. 1, 1933, P 46-63.

[29] Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 115-116.

[30] González, Jordi Pérez, Gems in Ancient Rome: Pliny's Vision, P 139.

[31] Castor, Alexis Q., Etruscan Jewelry and Identity, In A Companion to the Etruscans, Chapter 19, First Edition, John Wiley & Sons Inc, 2016, P 276.

[32] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, P liv-lv.

[33] Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, P 721-722.

[34] .3 Ibid, P 72

[35] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, P lvi.

[36] Brown, Katharine, Guide to Provincial Roman and Barbarian Metalwork and Jewelry in The Metropolitan Museum of Art, The Metropolitan Museum of Art, New York, 1981, P 2.

[37] Picchiotti, Italian Jewelry A Heritage of Gold Craftsmanship in Valenza, P 3.

[38] Gentile, Iginio, Trattato generale di archeologia e storia dell'arte italica, etrusca e romana, 3ª edizione interamente rifatta, Ulrico Hoepli, Editore-Libraio della Real Casa, 1901, P 190.

[39] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, P li-liii.

[40] De Caro, Tilde, The ancient metallurgy in Sardinia (Italy) through a study of pyrometallurgical materials found in the archaeological sites of Tharros and Montevecchio (West Coast of Sardinia), P 1-2.

[41] 9. Ibid, P

[42] .43 Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 2

[43] Ibid, P 102.

[44] Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 114.

[45] Hoss, Stefanie, Of Brooches and Men, Small Finds and Ancient Social Practices in the North-West Provinces of the Roman Empire, Oxbow Books, 2016, P 35.

[46] Richter, Gisela M. A, Classical Accessions: II. Jewelry, The Metropolitan Museum of Art Bulletin, Vol. 16, No. 3, 1921, P 58-59.

[47] Toms, Judith, The Arch Fibula in Early Iron Age Italy, In Ancient Italy in its Mediterranean Setting: Studies in Honour of Ellen Macnamara, Accordia Specialist Studies on the Mediterranean, Vol. 4, University of London, 2000, P 91-113.

[48] Saturnina,Domina Tullia, Making Roman Jewelry, P 10.

[49] Spier, Jeffrey, Ancient Gems and Finger Rings, The J. Paul Getty Museum, 1992.

[50] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, P lix.

[51] Marshall, R. H. Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, P 1.

[52] Cifarelli, Megan. Adornment, Identity, and Authenticity: Ancient Jewelry In and Out of Context, American Journal of Archaeology (AJA), Vol. 114, No. 1, 2010, P 1.

[53] Picchiotti, Italian Jewelry A Heritage of Gold Craftsmanship in Valenza, P 3.

[54] Ward, Courtney A., Rethinking the Spectrum of Luxury Roman jewellery from the Bay of Naples, P 306.

[55] Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 89.

[56] Ward, Courtney A., Rethinking the Spectrum of Luxury Roman jewellery from the Bay of Naples, P 305.

[57] Ibid, P 305.

[58] Cifarelli, Megan. Adornment, Identity, and Authenticity: Ancient Jewelry In and Out of Context, P 8.

Castor, Alexis Q, Etruscan Jewelry and Identity, P 275-276.[59]
Hoss, Stefanie, Of Brooches and Men, P 35.[60]
Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 115.[61]
Sebesta, Judith, Bonfante, Larissa, The World of Roman Costume, The University of Wisconsin Press, 2001, P 77.[62]
Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, P 227-228.[63]
Ibid, P 114.[64]
Castor, Alexis Q, Etruscan Jewelry and Identity, P 275-276.[65]

المصادر:

1. Allaby, Michael, A Dictionary of Geology and Earth Sciences, Fourth Edition, Oxford University Press, 2013.
2. Bonanno,Anthony, Insularity and Isolation: Malta and Sicily in Prehistory,Islands and Interaction: Proceedings of the Fifth International Conference on the Archaeology of the Ancient Mediterranean (ICANM 5), University of Malta, N.d.
3. Brown, Katharine, Guide to Provincial Roman and Barbarian Metalwork and Jewelry in The Metropolitan Museum of Art, The Metropolitan Museum of Art, New York, 1981.
4. Castor, Alexis Q., Etruscan Jewelry and Identity, In A Companion to the Etruscans, Chapter 19, First Edition, John Wiley & Sons Inc, 2016.
5. Davis, William Stearns, A Day in Old Rome: A Picture of Roman Life, Allyn and Bacon, 1925.
6. Giardino, Claudio, Villanovan and Etruscan Mining and Metallurgy, In The Etruscan World, Routledge, 2011.
7. Higgins, R. A., Greek and Roman Jewellery, Abingdon and New York, Vol. 18, 2025.
8. Hoss, Stefanie, Of Brooches and Men, Small Finds and Ancient Social Practices in the North-West Provinces of the Roman Empire, Oxbow Books, 2016.
9. Lucarini, Mauro, Fumanti, Fiorenzo, EuroLithos Atlas – Ornamental Stone Resources in Italy, Geological Survey of Italy, 2021.
10. Schörle, Katia, Pearls, Power, and Profit: Mercantile Networks and Economic Considerations of the Pearl Trade in the Roman Empire, Across the Ocean: Nine Essays on Indo-Mediterranean Tradem, Koninklijke Brill NV, 2015.
11. Sebesta, Judith, Bonfante, Larissa, The World of Roman Costume, The University of Wisconsin Press, 2001.
12. Spier, Jeffrey, Ancient Gems and Finger Rings, The J. Paul Getty Museum, 1992.
13. Toms, Judith, The Arch Fibula in Early Iron Age Italy, In Ancient Italy in its Mediterranean Setting: Studies in Honour of Ellen Macnamara, Accordia Specialist Studies on the Mediterranean, Vol. 4, University of London, 2000.
14. Wilson, Andrew, The Metal Supply of the Roman Empire, In Supplying Rome and the Empire: Proceedings of an International Seminar held at Siena–Certosa di Pontignano on May 2–4, 2004 on Rome, the Provinces, Production and Distribution, Oxford University Press, 2007, P 123.
15. Saturnina, Domina Tullia, Making Roman Jewelry, N.d.
16. Lee, Hyun Ji, Transformative Trade: The Impacts of Trade on the Periphery of the Roman Empire, Master's Thesis, Department of History and Archaeology, Macquarie University, 2022.

17. Terpstra, Taco T., Trade in the Roman Empire: A Study of the Institutional Framework, Ph.D. Dissertation, Columbia University, Graduate School of Arts and Sciences, 2011.
18. Bucci, Francesco, and Others, A new digital lithological map of Italy at the 1:100,000 scale for geomechanical modelling, Earth System Science Data (ESSD), 2022, Vol. 14.
19. Cifarelli, Megan, Adornment, Identity, and Authenticity: Ancient Jewelry In and Out of Context, American Journal of Archaeology (AJA), Vol. 114, No. 1, 2010.
20. De Caro, Tilde, The ancient metallurgy in Sardinia (Italy) through a study of pyrometallurgical materials found in the archaeological sites of Tharros and Montevecchio (West Coast of Sardinia), Journal of Cultural Heritage, 2017.
21. Dolfini, Andrea, The Neolithic Beginnings of Metallurgy in the Central Mediterranean Region, Accordia Research Papers, Vol. 13, 2013/2014.
22. González, Jordi Pérez, Gems in Ancient Rome: Pliny's Vision, Scripta Classica Israelica, Vol. 38, 2019.
23. Nikopoulou, Maria, And Others, Study of Garnets in Hellenistic–Roman Jewellery From the Collections of the Archaeological Museum of Thessaloniki, Greece, Journal of Raman Spectroscopy, 2025.
24. Marshall, R. H., Catalogue of the Jewellery Greek Etruscan and Roman in the Departments of Antiquities British Museum, Printed by Order of the Trustees of the British Museum, 1901.
25. Picchiotti, Italian Jewelry A Heritage of Gold Craftsmanship in Valenza, Italian Jewelry, Vol. 7, 2022.
26. Richter, Gisela M. A., Classical Accessions: II. Jewelry, The Metropolitan Museum of Art Bulletin, Vol. 16, No. 3, 1921.
27. Rose, H. J., The Cult of Volkanus at Rome, The Journal of Roman Studies, Vol. 23, No. 1, 1933.
28. Rovida, Andrea, and Others, The Italian Archive of Historical Earthquake Data, ASMI, Earth System Science Data (ESSD), 2025, Vol. 17.
29. Ward, Courtney A., Rethinking the Spectrum of Luxury Roman jewellery from the Bay of Naples, Acta ad archaeologiam et artium historiam pertinentia, Volume XXXIII (N.S. 19), 2023.
30. Gentile, Iginio, Trattato generale di archeologia e storia dell'arte italica, etrusca e romana, 3ª edizione interamente rifatta, Ulrico Hoepli, Editore-Libraio della Real Casa, 1901.
31. Giardino, Claudio, and Steiniger, Daniel, Evidenze di miniere preistoriche nell'Etruria meridionale, Archeometallurgia: dalla conoscenza alla fruizione. Atti del Workshop, 22–25 maggio 2006, Cavallino, Consiglio Nazionale delle Ricerche, Bari, 2011.
32. Museo Gregoriano Etrusco.
33. The British Museum, Museum number.
34. The Metropolitan Museum of Art, Museum number.